شعر

# أن تَقلِبَ

فارس حرّام



# أن تَقلِبَ الفكرة

# أن تَقلِبَ الفكرة

**To Overturn An Idea**

فارس حرّام

صورة الغلاف: فارس حرّام

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان، 2019

First Edition: Beirut ـ Lebanon, 2019



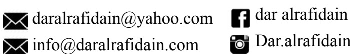


لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 07714440520 / 07811005860



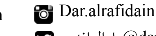
daralrafidain@yahoo.com

info@daralrafidain.com

www.daralrafidain.com

dar alrafidain

Dar.alrafidain



@daralrafidain_l دارالرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 607 - 55 - 9

**شعر**

# أن تَقلِبَ الفكرة

**فارس حرّام**



www.daralrafidain.com

## تجريح داخليّ

وأنت تتلعثم

أمام

كاتب سيرتك،

سقط لفظٌ من فمك،

وتهشّم،

وتعثّرَ أمام منزلك صبي مشرّد

هو أنت،

في حينَ ألهاك

في التكلّم على زوجتك

تأمّلُ الشاي

البارد

في مطعم المطار.

كأنك لم تكن يوماً

أهمَّ مسمار

منحنٍ

في العالم.

أو كأنْ لم تكنْ

جارَ الأمل

بيتَ بيت.

كاتبُ سيرتك

يلتقط

الصورَ لحقائبك،

بينما يجهدك

إخفاء

أنك تهرب.

وتوصلك

إلى سلّم الطائرة

أغنيةٌ

غير دقيقة

عن الوطن.

تعثّرْ
برغبة النظر
إلى الوراء،
حين يكسر ابتعادَك
الآباءُ الطبيعيّون،
أو حين تتقلّبُ فيكَ
أغراضُهُم
التي
في الدواليب.

فكِّرْ
في تجارب أيامهم كلَّ يوم،
من حينَ يقع الشعور
إلى أن يتهشم؛

وأبنائِهِم ـ الصائرين بعد ذاك
كلسَ النوافذ:
فكِّر فيهم
وأنت تضرب أحجاراً صغيرةً
بخطواتك.

وحاولْ،

ـ إذ يتهدم ذهابُكَ على الطُرُقِ

ويبكي ـ

أنْ تعلّمَ جوفك

حالةَ الغصن

حين يكون عصرُكَ

ورقتَكَ الأخيرة.

أو حين عمرُك

يتدفّق

في غيرِ مكانه.

لأنّكَ

ـ إذ تهاجرُ في طائرةٍ ـ

لن تُشْفيك الطائرةُ.

ثم نقصانُنا،

ـ ما تسميه «نقصانُ أملِنا» ـ

ستجده في غيرنا،

وأنت تتنَزّهُ

في الشارع المزدحم؛

ونحن وأولادُنا،

في الماضي المقابل.

لن تَقْدِرَ أنْ تغطّي بوجهِكَ وجودَك

حين تتجعّدُ وقفتُك،

ويهْدِلُ منكَ الزمن.

لن تقدِرَ على الدوام أنْ تشرح خلاصَكَ لأسرتك،

أو من هم بعدَك؛

لأنّك

ـ وأنت تهرب ـ

تحرجهم

بينما يبتسمون؛

توحِشُهُم بنسيانهم

من الغرفة إلى الغرفة،

مكدّساً عودتك إليهم في براميل،

وهم

يبتسمون:

أنِ العالَمُ تودّدُ بعضهم لبعضهم في غيابِك،

أنِ العالَمُ أُسرتُك.

فما يجدي أن تؤرخ إرادتَك

بعشائك وحيداً،

معكوساً

في جَفنٍ منسدلٍ عليك؟

ما يجدي تدافعك

تجاه عدم العودة..

والحياة بالأصل مكعَّبة؟

ستجد دائماً أمامك

ما تهرب منه

إلى

ما ستهرب منه.

وبينما تقول لكاتب سيرتك

أنك حرّ

يسقط لفظ الحريّة من فمك

ويتهشّم،

في حين بناتك

ينشرن الخبز فوق الجرائد،

وأصغرُ بنيك

يعصر ثيابه في الحديقة،

أنِ العالَمُ:

تودّدُ بعضهم لبعضهم في اليأس،

أنِ العالَمُ:

أنت.

فإذا شئتَ

فكّرْ بسؤالِ تحرّرك        قبل أن تفكّر،

وقبل أن تُجيب غيِّرهُ.

إنَّ القيد

يعطي لمعناك معنى.

ولربما ما يعقّد حياةَ الطائر

كونُه حرّاً.

# عمركِ الصغير

عُمْرُكِ الصغير

يتفقّد أرقامَه المسجّاة

في غرفة الطوارئ.

أخترق

في طريقي إليكِ

وجوهَ كلّ من أحببتُ وكرِهتُ

في هذه المستشفى.

والأخبار

تنقل هزيمة شبابك

أمام مرضي

عكسَ التوقعات.

أنا الرجل الكهل ذو الشيب

أمد في خِزانة الأمل يديّ الخشنتين

مبعثراً ثيابي

وأدوات نظرتي إلى الكون.

أحيطكِ

بتعب الجبل الذي يأخذ وديانه معه أينما ذهب

أجعل نومك يتعثّر في نومه ويهذي،

وأجعل نسيانك إيّاي يتكلّم بي مريضاً ومعافى.

أمدّ في الأملِ يديّ

إلى نهديك الشابّين الغامضين، أستفزّ المستقبل في الانحناءات،

هما اللذان

يزيحان الماضي كلّه

باهتزازة نهدٍ واحدة..

في الآهة المجاورة لغرفة الطوارئ

أفهم

للمرّة الأولى

كيف تنوجد الطمأنينة ـ أوّل انوجادها ـ في شفتيكِ

وأنّ في القُبَل التي نتبادلها في النظرات تهرب غزلان الثلوج

وتختفي

للأبد..

وأنّ في عينيك الشابتين إخواناً وأقاربَ

ينتظرونني بعد كلّ نظرة..

أخاف منهم

وأهزمهم

من معركة إلى معركة.

لتكن الرياضيّاتُ فريستَنا

وحلبَةَ وجودنا

وليتوقّف

ظهور فمك المستفزّ

في شاشة أطبّاء الليلة

أنا الآن موجودٌ

في القُبل المفترَضَة

في نظراتنا

وقلبي معتادٌ على شحّة الفرص

من قصةٍ إلى قصة

من بيتٍ فقدته إلى بيت

من شكّ لآخر..

أنا الرجل الكهل ذو الشيب.. وأنت الطفلةُ النافرة اللعوب

ولعبةُ نردِ بيننا..

كلما مات رقمٌ فيها انبعث آخر من موته.

# نكهل ونحيا.. كأيّ شكّ

يحمل أوجاعه، ولا يصعد،

لانشغالِهِ تحتَ السُلّمِ بأوديةٍ وجدرانٍ تحملها الحبيبةُ إليه كلّ يومٍ، وهي لا ترفع ـ خشية الماضي ـ رأسها أمامَ الناجينَ منه، وهو لذلكَ يكتب قصيدَتَهُ عنها، جالسَيْنِ في الصورةِ تحت شجرةٍ، أو في العراء، وهما كذلك ينصتان، إلى البشر يتهشّم جلوسُهُم إلى الموائد مع كلّ ضحكةٍ، أو إلى الحياة تنفرط وتسقط، وكانت طفولتاهما قبل ذاك جاءتا من جهةِ عرب البادية، وبعده، جناحين يطيران يحطّان في دُرجٍ بمكتبٍ يتأرجحُ بين قَرْنَيْنِ ـ مئتي عامٍ ـ وكلاهما يغتسل ـ القرنان ـ بوجه الآخر، هذا يقول «أنت أنا فمن أنت؟» وذاك «اسألْ» يقول «نفسَك»، فليفرض المصوّر أنّهما ـ صديقيّ ـ لن يكونا في رسمٍ يجمع حقيقةَ الأوّلِ لتخيّل الثاني، والعكسُ كذلك، وليفرض أنّ بجعةَ الموتِ تبدو في الصورتين، ليفرضْ أنّ الشاعرَ، إذْ بدأ القصيدةَ هذه، تعثّرتْ قدمُهُ بالكلمة الثانية، منشغلاً في السطر الأوّل بالقصيدةِ المقبلةِ، أو مُراقاً في شرايينَ تنقل، تحت الشعور بالندم، التيبّسَ إلى الشفتينِ، متروكاً في غابةٍ هي هو، فكيفَ يقدر، أقصد المصوّرَ، كيف كيف؟ وهل لا يملكُ ـ هل كالحارسِ الخائفِ ـ بندقيةً لقلبه؟ هل يتمكّنُ أخيراً فيغفو على سكةِ قطار؟ يتناول طعامه في لحظة سيل؟ يترعرع ويعمل في عماراتِ تيهٍ ولُقيا؟... كانت هذه هي الكلماتُ حين بدأ يقرأ، وكانت، حين أخذتهُ العرباتُ المركونةُ بين الجُمَلِ، تحمل الناجين من الكآبةِ، تحملهم إلى الكآبةِ ثانيةً، وهو لا يعلمُ، وهم يعاشرون جيراناً مسلّحين بتحيّات السلالمِ، وهذا كلّه يجري قبل أن يصعد، وقتَ صعوده، بعده، علماً بأنّ...

# الصراع

أحاول

حملي

في وعاءٍ مهشّمِ

وأخدع نفسي

أنَّ ما في دمي: دمي

وأُقْنِع أضدادي

بأنّي جميعُهُم

وأُشْهِدُهم

أنّي

لغيري أنتمي

طريدَ سؤالٍ

هاربٍ من جوابِهِ

صديقَ كلامٍ

ضائعٍ في التكلّمِ

يفارق قلبي كلّ أرضٍ أزورُها

لكثرة ما في أعيني من تسمّمِ

ويسكبني عقلي

بلمح حقيقةٍ

وبي

كلّ شيء غارقٌ في التوهّمِ

أنا

بيتُ أسلافي

وتيهي حفيدهم

وأشرس أعدائي شريكي وتوأمي

وحولي السؤال المستدير بذاته

بحيث «لماذا؟» فسحةٌ من «إلى كمِ؟»

و «هل من صديقٍ؟»

نفسها «أين أختلي؟»

و«ماذا لقينا؟»

نفسها «كيف نحتمي؟»

قضتْ لي حياتي

أن أكونَ

كما أنا

تبعثُرَ عُمرٍ

في صِراعٍ

منظّمِ

ويُدهشني ـ إذ أرفض اليأسَ ـ أنْ أرى

شرايينَه مني

وفي وجهه فمي

مرضتُ بأهلي

والدواء «تبسّمٌ»

فكيف علاجي

من دواء التبسُّمِ؟

# سياج

محاطاً بسياجٍ منكِ

تتعقّد طريقتي في السير

عندي خطوة وحيدة للخروج من كنزك

وآلاف العودات.

جَمَلٌ واحدٌ

مقابلَ سماء.

أعيش حاليّاً في قلب عدم القدرة

أبعثر محتويات الأسبوع القادم على سجّادة الغرفة

بحثاً

عن دليل واحد لنسيانك

أرجو أن

أطفئكِ

وأرجو أن

يختفي الأسبوع القادم

من دون مقدمات

وأرجو

ـ قبل ذاك ـ

أن يفشل هذان الرجاءان

فأجدكِ أمامي بعد هذه القصيدة

ماثلةً للعيان

كفكرةٍ تحوّلت بقدرة قادرٍ

إلى امرأة.

## شبّاك الجوازات

أجتاز أحداثَ العالم

كورقةٍ في دهليز الطباعة

أينما تلفتّ ينقُشِ الماضي جهاتِهِ على وجهي

وكيفما تقدّمتُ في المدن والعواصم ازددت غموضاً

حتى لم أعدْ أعرف في أيّ مطار تسكن الأرض

أجتاز

أجتاز أحداث العالم

بطريقة واحدة للفهم

وملايين الكلمات التي بلا معنى

وأمام عينيّ

أمام عينيّ بالضبط

ينكسر أصل البشر

وينهار الشعور البسيط بالمصادفة.

أمام عينيّ في شبّاك الجوازات

تصبح الجغرافيا نفسُها شرطياً

وأجد نفسي أفقدُ الجوابَ عنِ اسمي

إلى الأبد

من أنت أيها المسافر قبل أن تصل؟

ما شكلُ وجهك الولاديّ بين ملايين النظرات إلى الآخر؟

أنت بلا كلبٍ،

لكنّ كلبك الصغير ينبح عليك في كلّ مكانٍ

ودائماً توجد صورة أخرى فقدتَها وأنت تلتقط الصورة

يوجد حفل سخرية منك أينما تقهقرت

من أنت قبل أن تُسألَ «من أنت»؟

وكيف اجتزتَ أحداثَ العالمِ لتصل هنا؟

قف

في ممرك الداخليّ

وأعطني

جواز سفرك

أرني عينيك، ابتسم،

شكراً

أنت بلا كلبٍ،

لكنّ كلبك الصغير ينبح عليك في كلّ مكانٍ.

قف

في الممرّ الذي يُسمّى افتراضاً أنا

واحملْ حقيبتي معي،

إن سمحت

شكراً.

## من دون أن ألتفت

ألعَبُ الشطرنج

عارفاً

بعذاب الفيلة،

حين تسند القلاع القديمة.

مفترضاً

أيامي السوداء

بيضاء،

لأني

أتذكّر دائماً

أن أنسى.

صانعاً

من عثراتي

حصاناً

يتقافز حولي،

ومن لا وصولي

مربّعَاتٍ

للأحداث الصغيرة.

## ألعَبُ

وكلُّ ما هو غير جدير باللعب

يجلس أمامي،

وخلاصة خطتي الوحيدة

أن أتحاشى صديقي.

واثقاً

من هزيمة عدويّ

ومن

لا نَصري.

أَلعَبُ

بينما

يتقاذفني قبل النقلة القادمة

كلُّ نهارٍ وليلٍ خلقهما الزمن

في تاريخه،

كُرةٌ

أنا

تحيّرتْ

كيف توقف ذاتَها.

ألعَبُ

وألعَبُ

في قاعةٍ

أكبرَ قليلاً من الغرفة

اسمها العالم،

منغمساً

ومنكسراً

في أكوابِ الحاضرين،

وبالتحديد

في

شخصية الملعقة.

وألعَبُ

وألعَبُ

قبالةَ تَكرارٍ من الكواغد واللحم،

اسمه الدِّين والطائفة،

والجمهور الذي يشجعني منذ الطفولة

اسمه الكراهية،

عارفاً

بعذاب الفيلة

حين تسند القلاع

بدموع كبيرة،

دموع من يكره هو الآخر

ولا يقدر.

## الطابق العاشر من الفندق الفخم

في الطريق إلى جسدِكِ الحرّ

صحوتُ من نومي.

كنتُ أسير في بستانك أشمّ الطريق.

حلمت أنني أقاتل

في حربٍ قديمةٍ عند شفتيك

يتركني الجند منسياً في خندق من خنادق وحدتكِ اللانهائية

وإذ أشارف على الموت ويقترب المتحاربون من الهرب

تأتي ابتسامتك من بعيد

تنقذ الجميع.

أنا الآن في طريقي إلى جسدِكِ الحرّ
في الطابق العاشر من الفندق الفخم
وعند المصعد
وجدت آثار حضاراتٍ بقيت منك لحظةَ مررتِ
أقواماً يغوصون في الجدران اللامعة ويهمهمون باسمك.

مشيت
وعلى مشيي ندوبٌ
من وجوه متهوّري المدن الفقيرة

وأياً يكن ما رأيتُهُ في مرايا المصعد
فإن الأشياء جميعاً أصبحتكِ
وأياً يكن تردّد يدي وأنا أطرق الباب
فإن الأشياء جميعاً خافتكِ

أنتِ مخيفة الخوّافين
مرعبة كلّ عينٍ وكلّ فم،

وها قد فتحتِ لي الباب لمجرّد أنني تجرّأت وجئت
وها هو الزمن ينقلب على نفسه.

أنتِ الآن ممدّدةٌ على سريرك الفخم في الطابق العاشر

ونهداك يتشاجران مع يديَّ ثم ينهاران فجأة ويبكيان

الزمن ينقلب على نفسه في سريرك...

أهرول وراء فمي

في بساتين مساماتك

أنت شاسعة على متصابٍ مثلي

صغيرة

مخيفة.

وكان الجنديُّ الوحيد الذي يأمرني بالركوع

وينفّذ أوامري في الوقت نفسه: حلمةَ نهدك

انقلب الزمن الآن

لسانُك المتكبر يأكل لساني

ورقَبتانا ذابتا معاً

كنهايةِ يومٍ تلتقي ببداية آخر

صرتُ مائدتَكِ التي تشتهين

وبضربة واحدة من الزمن

وجدنا نفسينا عاريين في الطابق العاشر من الفندق الفخم

التماعتَيْـن

حُرّتَيْـن

وسَطَ خائفي الفخامة والسلطة

عارييْن

عارييْن...

# إخوتنا أتلفوا أحذيتنا وقمصاننا

## ـ 1 ـ

مرَّةً أخرى:

أَحْدَثُ المغرَمينَ في الإذاعة.

آلاتٌ تحب مع النغم

وتكره؛

وعازفون

ينهارون

عند «السلالم»،

وآخرون يودّون

لو لم يكونوا.

ثم سامعون..

آذانٌ جديدةٌ تصحّح الليالي

..مُصغون جديدون،

ضمن أُسَرٍ

جديدةٍ.

وبغداد

نفسُها.

والصباح

نفسُهُ.

كلَّ يومٍ:

هذا الماءُ،

وهذه المنشفة.

..ولأنني في أغنية

تنكسر من الوسط

بين من راح

ومن بقي

فقد تعلمت

أن أناقش؛

لكن، مع الوقت،

ماذا يقول

آخِرُ النيزك

لأوَّلِه؟

..أغتسل صباحاً

وظهري لصيدلية العالم،

لمرضى

يتعقّمون

من آمالِهم؛

مبتسماً

لتكافؤ الحياة

والموت؛

واقِفاً

بينهما

بالماء

والصابون.

وأعرف

أنّ سعادةَ الآدميين: أن يبتعدوا،

وأنّني أخجل من الهرب،

وبين الفكرتين

أعثر

على آثارِ إبادتي

في المكان الذي أُحب.

## ـ 2 ـ

ومرَّةً أخرى: البغداديّون،

وكآبة تسوُّقِهم،

وفترةُ الانحطاط اليوميّةُ

ومنازلُ، وأرصفةٌ

وأولاد.

وطبعاً،

من وقتٍ لوقتٍ:

تتبدّل

مشاعرُ المنازل،

ويعجز البغداديّون

عن ستر كآبتهم،

وتمتدّ الأرصفةُ، تنمَطّ

حتى

تلامس

غرفَ النوم،

ويبقى الأولاد.

ثمَّ يتقدم بينهم شبيهي،
ومعه دفترُهُ..
يكتب
بدافع أن لا يتلاشى
لا أن يريد.

.. ولمّا كان كلُّ شيءٍ بلا قِصّة..
فإنَّ
مَنْ مثلي
يَخْزِنُ بقاءه
بكتبٍ،
وأغانٍ،
يقول: «الحياة عباراتٌ»،
وإذا بالحياة
ملجأ المشرّدين القادمين
من الماضي،
وهكذا تكون
الفرصة الأخيرة
أن يرغب من جديد،
بالمستقبل.

لكن

حين عاشر المستقبل،

لقيَ الناس زائدين

على بصره،

وأمسى

يختبئ

عن أقرب ابتساماته إلى الزوجة.

وأينما تقع جوارحُهُ

فنهاياتُ فكرةٍ عن الحلّ.

.. وهكذا كان لا بأس

من العودة، ثانيةً،

إلى الماضي.

## ـ 3 ـ

.. ومن الناس

من يربّي متاهة أعماقه بيديه، لكي لا يصل.

كما

لو أنَّ المعرفةَ تسبّب

هشاشة العظام.

أو أن من حملوا

ـ وعرفوا ـ

أعماقَهم:

بحارٌ

مختنقةٌ

في صنابير..

تردّداً

في المُضيّ،

أو العودة.

.. وهكذا،

ـ من أن يَعْرِف

إلى أن يزول ـ

تغيم

دورةُ كوكبِ الأرض

على مَنْ مثلي

وتمطر،

وبينما يكتب..

يكون الطين

قد وصل

إلى الأيام،

ويصير أكثرُ الناس

على سطوحها،

لأنَّ

أجسامَهَم

من ورق الجرائد،

دارجين

والخبر يدفع الخبر،

والكلمة لكي تصعد

تقتل الكلمة.

.. ومن جديدٍ

يكون على من مثلي

أن يبعث أخيراً بالبريد

إلى نفسه،

بل في الوسع،

أن يُعلّق في غرفته آثارَ الذّهاب،

وأن يحرس مَنْ أحبَّهم

بوحدته.

.. على هذا النحو

تترعرع المنطقيّاتُ غير المرئيّة حول المحبّ،

وتتلفه.

وإذ يصل

آخرَ افتراضاتِهِ

يكون

قد جرَّبَ حياتَهُ كلَّها.

## - 4 -

كلَّ يومٍ محبٌّ

يصل

متأخراً

عن زمانه.

تصحبه قصّته الخالدةُ،

ويسبقه

سأمُ قلوب

البشر.

## ـ 5 ـ

كلَّ يومٍ:

«لستم من عصرنا»،

و«كلا.. بل منه»؛

ثم

تأكل الجُمَل الكبيرةُ الصغيرةَ،

ويأتزر

كلٌّ متكلّم

بشارحيه،

ثمّ يغدو في الوسع

أن تُعْدِلَ اللهجةَ

حربٌ،

وأن يئد الرجالُ

الرجالَ،

ثم تغدو نشارة الحرب، بعد الحرب،

أهلَ من قُتِلوا.

وتنتهي الحقائق

مستديرةً:

الرغبةُ بالبقاء

تنبعُ

من ضَعْفِهِ،

وحماسةُ حفرِ الخنادق

هي نفسُهَا لحظاتُ

غبشِ الموظفين.

.. في ذلك، بالضبط،

تصبح بغداد

بلا قصّة.

ويخطف المغنّون

ذواتِهم

إلى ما قبلُ،

وما بعدُ،

وأغاني

حُبِّهِم

تذكّر الأمكنةَ

والناس:

بأنه:

«لا الموتُ كلمةٌ،

ولا الحياة معنى».

# قلتُ أعيد الرِّواية

أحمل فانوس الأشياء التي لن توجد،

متقدّماً

بمرح الشّرطة

وسط انفعالاتي.

ولماذا أغضب؟

طالما

أنّ نسمةً غير مقصودة قد تنقذ الستارة من عدمها؟

وطالما

أنني تدرّبت

أن أجعلَ فانوسي نفسه مبحوثاً عنه،

مفتشاً

عن الوقائع والأوهام

في مكانٍ واحد؟

أن تقْلِبَ السُّترةَ هو أن تقلب الفكرة.

أن توجِد الشيء هو أن تكتفي بالتكلّم.

فلماذا أغضب إذن وهذه هي الحياة المعاصرة؟

طنّان من الملاعق كلَّ سنة

عشرة آلاف التفاتة ندم

صديقان

أو صديق ونصف

مئة محاولة يومياً لقولِ «صباح الخير» بصورةٍ صحيحة

إحدى عشرة محاولة للاختباء

من ضيوف

ما بعد الظهر.

فلماذا إذن أغضب وقد فعلت

كلَّ ما بوسعي؟

هذه هي الحياة المعاصرة.

أتقدّم فيها إليكِ

بمرح المتعوّد على اللعبِ والخَسارة.

وأفترض

أنّ من الممكن للطائر

يوماً

أن يقيم تمثالاً

لشكل طيرانه.

أتقدّم إليكِ

بفانوس الأشياء الضائعة

إلى الأبد،

وليس عندي لغزٌ

إلا هذا.

أهذا لغز؟

أستمتع

أستمتع بالشيخوخة تكنولوجيّاً

مستلقياً في الصالة

وسط أحفادٍ

لا أعرفهم،

وحول فراشي سنواتٌ

مختلفة الأحجام

أضعتها

في شبابي.

فلماذا إذن أغضب؟ وبمقدوري ـ بكبسة زرّ ـ أن أقرّب منزلي

لمنزلكِ

خدّاً على خدّ؟

كيف لا أمرح؟ وأنا أخوض هذه الغابةَ؟

وقُدّامي يسير اختفائي؟

أريد

أن أفحص سمعة الأسف

قبل أن أتأسّف،

وقبل لقائه أزور

معرضه التصويريّ

وقد عُلّقَتْ فيه لقَطاتٌ لإرادتي في أوضاع مُخلّة.

لم تعُدْ تقدر أسرع الهندسات

أن تصل بي إلى وسادة النوم.

وليس لديّ إغماضة واحدةٌ تستحقّ الثقة.

ولا الظُّهرُ يقبل أن يبقى ظهراً،

ولا الليل شيء حقيقيّ.

فإذن،

كيف لا أقضي يومي كلّه أتدرّب ـ في أثناء الكتابة ـ

على أن لا تكوني قارئتي الوحيدة؟

كيف أمنع ظهور وجهك أمامي بعد كلّ كلمة؟

وكيف لا أجد نسيانَكِ

يوميّاً

في مخزن الخردوات؟

وكيف ـ بعد هذه المقدّمة الطويلة ـ

لا أكتشف

أنني

مجرّد سائح مقيم في مرسَمِك؟

هذه هي الحياة المعاصرة.

ظلّك أقرب إلى انحنائي منّي
ولوحاتك التي ترسمين
مرصوفة بدقّة
داخل أفعالي.
وأينما اتّجهتُ في مرسمِك الصغير
أعثر على غموض مَرَحي.

وهنا ـ بالضّبط ـ عندي سؤال:
كيف قدِرتِ بالخطوط المستقيمة أن ترسمي الحريّة؟
وكيّف أعدتِ تربيةَ الألوان الضارّة من حولي؟
وأثبتِّ
أنّ النهرَ لا يستطيعُ السباحةَ لأنه هو النهر،
وأن الأملَ المفتاحُ المخطئُ الوحيد
القادر على أن يفتح الباب؟

أنت ترسمين اختصارَ الرّسم
تنشرين
في زوايا هذا الكوكب
سُلطةَ اللانطق
وبمقدورك
أن تثبّتي أيّ عاصفةٍ
بالدبابيس.

هذه سمة مَنَحَتْكِهَا الحياةُ المعاصرة..

مجرّدُ جلوسِكِ في مَرْسَمِكِ

يزعزع آثاثَ منزلي

ويحرّض الغُرفةَ على الغرفة،

وإذ أستمع لأخبارِكِ تخيّلاً

تنهار

أكواب الشاي

واحداً تلو الآخر.

إنّ الهربَ منك

يتبع

باستمرار

آثار قدميك.

مجرّدُ جلوسِكِ في المرسَم

يجرّعني الشَّكّ

ويعلّمني

خياطة الحجج والبراهين

أقول للصديق في الشارع إنّ المرء مسروقٌ بلا سارق،

ـ كيف؟

أقول له إنّ فكرةَ الزمن مهزلةٌ،

والفُقدان هوايةٌ إجباريّة،

وليكن واضحاً

أنني أدهَنُ الصباح بالوظيفة لكي أتجرّعه،

وأنني

أفقد دائماً طريقَ العودة لمنزلي،

وفي كلّ مرّة

أجد ـ بالصدفة ـ في القمامة

شكلَ الإنسان المجرّد.

أقول ـ بعد هذه المقدّمة الطويلة ـ إنني مرحٌ، والحقائقَ هادئةٌ.

وإنني ـ مهما كنتِ بعيدةً ـ أستطيع التسلّل

إلى حيث

ترسمين بهدوءٍ

هذا القَدَر.

أفتح محرّكات الكلمات، كلمة كلمة

أفتّش عن العُطْل الذي لا أعرفه.

أتمدّد بطولي داخل المعاني المتوقَّعَة في لوحاتك،

وأتخيّل في ما تقولين عكس ما تقولين

أتوّقع المعنى

كنتيجة مباراة،

وفي كلّ مرةٍ ـ بالصّدفة ـ أخسر، وأفقد الطريق.

أنت غامضة وأنا غامض.

فلماذا أغضب؟ ما دام فقدانُكِ من النّوع النادر

بحيث

إنّ كِسرةً صغيرةً منه

تكفي

لإتلاف العالم.

الفصول تعلِّب الفواكِهَ والُخضارَ

بنظرتي إليك.

وحبي لك يستعملني

دون رحمة.

هذه هي الحياة المعاصرة.

نتقدّم فيها كلانا بمرح

ونختفي،

دون أن يلتقي أحدُنا الآخر.

# مروان.. وعبد السادة

**[إلى الصديقين الشاعرين: مروان عادل من بغداد، وعبد السادة البصري من البصرة].**

أقول لناقدِ هذا النصّ

بأنّي أكتبُ لا شيءَ،

وأني أتموّج هذي اللحظةَ في بغدادَ، على شاطئ دجلةَ، بالماضي المتكرر للقتلِ المتكرر، في شكل الأمواجِ المتكررة،

وأخشى أن تتزنجرَ آلاتُ النسيانِ المخزونةُ في غرفِ النوم،

ويُصْبِحَ أهلُ القتلى والجرحى أغلفةً لمجلاتٍ، لا هي للحرب ولا هي للسلم..

أقولُ لناقدِ هذا النصّ ـ وعيناي على «جسر الأحرار» ـ

بأنَّ البابَ المكسورَ لدى مروانَ، يقابله البيت المكسورُ لدى عبد السادةْ

ـ ومن مروانُ؟ ومن عبدُ السادةِ؟

قلت: صديقانِ.. اثنانِ من الشعراءْ

قال: «ويؤسفني أنْ لا توجدَ في هذا النصِّ معالمُ شعريّهْ»..

قلت له إنّي لا أكتب شعراً

بل أجلس هذي اللحظةَ في بغداد على شاطئ دِجلهْ..

وأفكّر في مروانَ وعبدِ السادةِ..

كيف تسنى لهما الخوض قروناً في أرض المسحوقينْ

يكتب كلٌّ منهم شعرَ المهزوم عن المهزومِ..

عن الجلادِين

يصيرون جوابَ اللّه على كلّ سؤالٍ..

ويلمّون المعنى والتأويلَ،

يكونون اللغةَ الملفوظةَ والمهموسةَ والتأشيرَ ومغزى العالَم والناسِ وفحوى الدّينْ

عن الشكّاكينْ،

وعن محو الساسةِ للساسةِ

عن خوفِ الماء المتيَّبسِ في خوفِ الطينْ

أفكّر في مروانَ البغداديِّ وعبدِ السادةِ في البصرةِ..

كيف تربّى كلٌّ منهم في منزل صاحبه دون لقاءٍ أو معرفةٍ..

كيف تغذّى خوفَ سوادِ السُنّةِ والشيعةِ في طعم حليب الأمّ

ولا يَعْرِف، لا مروانُ، ولا عبدُ السادة إذ يرتضعان حليبَ المستقبلِ والماضي،

ما السّنّةُ أو ما الشِّيعَةْ..

أفكّر في مروانَ وعبدِ السادةِ

كيف تدحرجَ كلٌّ منهم طِفلاً في كرةِ الآخر.. يسكن مرمى الآخر..

ثمّ يكونان مع الصبح أمامَ السبورةِ

تلميذيْ صفٍ واحِدْ، في بغدادَ أو البصرةِ

يتعلّم كلٌّ منهم أنّ الصفرَ: الواحدُ خوفَ الواحد

ويجيدان القرآنْ..

ويَكْبُرُ كلٌّ منهم في وقع خطى الآذانْ

يكتشفانْ

بأنّ الإنسانْ

يتعثَّر بالإنسانْ..

الناقدُ تأخذه الأمواجُ المتكسّرةُ على شاطئ دجلةَ خلفَ النصّ، يقول:

الآن بدأتَ الشعرَ، وإن كانت جملة «يتدحرج كلٌّ منهم» لا تعجبني

قلتُ له إنّي لا أكتب شعراً

بل أجلس هذي اللحظةَ في بغدادَ على شاطئ دجلَهْ..

أفكّر في مروانَ وعبدِ السادة..

كيف يسيران مع العمر إلى جيش «المملكة» أو «الجمهورية» في أرض المسحوقينْ

يصيحانِ أمام عريف الجيش.. يصيحانْ
بأنّ «بلادَ العُرْبِ الأعظمُ والأجملُ»..
و«تحيا الحريةُ والوحدةُ»..
[حتى لو أنهما تلتقيانْ
مساءً في مقهى عميانْ..]

أفكّر في عبدِ السادةِ، في مروانْ
يلتقيان مصادفةً في أرض الجبهة، وسطَ قتالِ العميانْ
ويقرأ كلٌّ منهم في الخندقِ شعرَ الآخرِ في ذكرى البيتِ، وكيفَ الحربُ، وأين الأوطانْ،
ويعترفانْ
بأنهما في الجبهةِ خَزّانانِ كبيرانْ
لدمعِ الأمّ، وكُرّاسانْ
لحبر السلطةِ والكُرهِ،

وإذْ يتسرّح ـ بعد سنينٍ ـ جيشُ «المملكة» أو «الجمهوريّةِ»..
يلتقيانِ مصادفةً في الشارعِ، يعترفانْ..
بأنهما ـ كلَّ صباحٍ ـ يختبئان
من الشيخوخة
وهي تطاردهم بين الزوجة والأطفالِ
وأنهما

في أرض السُّنّةِ والشيعةِ منفيّانْ

تدهسهم ـ كلَّ صباحٍ ـ عرباتٌ يدفعها أمَلٌ ميؤوسٌ منه، من المغسلة إلى الشارع،

تُنهكهم في وقت الراحةِ في الشُّغلِ بقايا الإنسانْ...

وكانا يلتقيان صباحَ الجمعةِ في «الزوراء» أو «المتنبي»

أو بعد الجامع يكتئبانِ.. ويبتهلانْ

لكنْ

في بغدادَ، وفي البصرةِ، في كلِّ مكانٍ من أرض المسحوقينْ

كان الملأ الأكثر من «وعّاظ الجامع» «والساسة» منهمكينْ

بضبطِ مقاسات السُّنةِ والشيعةِ في التاريخ

بحفرِ خنادقَ للشعراء المتجهين من السُنَّة للشيعة، أو بالعكس...

ومنهمكينْ

بحفرِ خنادقَ تنهارُ بها اللغةُ العربيةُ، يُصبِحُ تصريفُ الفعلِ الماضي عملَ النسوة في المنزلِ، يُصبِحُ كلُّ الزمنِ النحويِّ غريباً في المقهى

ويقلّبُ في الشاي رمادَ القتلى المحرومينْ.

كان الملأ الأكثرُ من وُعّاظ الجامعِ والساسةِ «مغرومين»..

وكانت آلتُهُم في الحُبِّ الدينيِّ مسنّنةَ الأطراف، تُجَرّ بها أفئدةُ السُنّةِ والشيعةِ في التِّربانْ.

أقول لناقد هذا النصّ، بأني في النجف ترعرعتُ وعشتُ، ولم ألحظ أني «أستوجبُ» سنياً، قلت له إنّ «صباح الحلبوسيّ» ـ ابنَ الفلوجةِ ـ كان يخطّ السُنّة بالشيعةِ..

لكنّ الناقد أوقفني قبل قليلٍ حين ذكرتُ الساسةَ

قال: دخول الساسة في الشعر يخرّبه، والدين، لا يعجبني في الشعر الدينْ..

قلت له إنّي ل ا أ ك ت ب

ش ع ر اً..

بل أجلس هذي اللحظةَ في بغدادَ على شاطئ دجلةْ..

وأفكّر في مروانَ وعبدِ السادةِ..

مرآتينِ ترى فيها بغدادُ البصرةَ بغدادَ

أفكّر كيف تسنّى للساسةِ والدينْ

أن يولدَ مروانُ يقاتلُ عبدَ السادةِ أو عبدُ السادة يَقْتُلُ مروانْ

وكيف تهشّم في حربِ الكُرهِ شعورُ اللهِ العازلُ بين الناس

وكيف تساقط خوفُ الشعر على هذا البلد المسحوقِ.. كأنْ لا شيءَ

أقول لناقد هذا النص بأن النقدَ العربيَّ تعوّد أن يُظهِرَ في شاشته أطفالَ السُّنةِ يدهسها الشيعةُ، أو بالعكس

وأنّ النقدَ العربيَّ غريبٌ عن هذا البلدِ العربيِّ..

ـ الناقدُ تمتم وهو يراقبُ جسرَ الأحرار:

«أحياناً ينكسر الوزن لديك

وتصبح «فِعْلُنْ فِعْلُنْ» «فِعْلُ فعولنْ»..»

قلت له إني

ل

ا

أ

ك

ت

بُ

ش

ع

ر

اً

بل أجلس هذي اللحظةَ في بغدادَ على شاطئ دجلة..

وأفكّر في مروانَ وعبدِ السادةِ

إذ يجتاح النقدُ العربيُّ منازلَهم في الليل، يفجّر فيهم منتحروه قصائدَهم..

كلٌّ من مروانَ وعبدِ السادةِ يكتب شعراً مقتولاً في أرض المسحوقينْ

وليس مصادفةً أنّ المسحوقين.. سوادُ السّنةِ والشيعةِ في أرض المسحوقينْ

## الجهة

**ـ 1 ـ**

أخذوا في حقائبهم

ثلاثين يوماً

من كلّ شهرٍ لدينا،

حين شعروا بسرقةِ شيءٍ

لا يعرفونه،

وحين هاجروا

لاستعادته.

**ـ 2 ـ**

تاركِين إناءَيْن

مقلوبَيْن

في الأثرِ

أحدهما الأمّ.

**- 3 -**

وماذا يُضاف إلى روح التائه

لتُطْعِمَ الجسد؟

**- 4 -**

الغُرّف الفارغة هنا

تتحاضن

وكلّ رغبةٍ

تستفيق

على ضدّها.

بينما

تبيت اللا غاية

تحت الأسرّة،

ومع الصبح تكون

رجالاً

ونساء.

## - 5 -

يُنزلون الأمتعةَ هناك وهم يُراسلون

ثمّ

سيأتي الأوان

لتسدّ صورُ الأصدقاء عليهم

الطرق

ويختلط عند أكثرهم

لمعان

الباص البعيد

في الضباب

ووجه إحدى بناتِ جيرانهم.

## ـ 6 ـ

و..

لو هُزِمَتْ أشكالُهم

في وثائق الأُسْرةِ

الجديدة

وكانت مرايا غُرفهم سوداء

ولو سمعوا بآخرين يكونونهم

في الوطن

أو شعروا بوطنٍ ينكش وجودهم في قيلولة الظهيرة

ويبتعد

فلن يرجعوا

ولن يرجعَ أبناؤهم

الذين سيولدون

هناك.

# تجريح داخليّ

وأنت تتلعثم

أمام

كاتب سيرتك،

سقط لفظٌ من فمك،

وتهشّم، (تهشّم؟)

وتعثّرَ أمام منزلك صبي مشرّد

هو أنت،

(يضحكني: يقول «تعثّر»)

في حينَ ألهاك

في التكلّم على زوجتك

تأمّلُ الشاي

البارد

في مطعم المطار.

كأنك لم تكن يوماً

أهمَّ مسمار

منحنٍ

في العالم.

أو كأنْ لم تكنْ

جارَ الأمل

بيتَ بيت.

كاتبُ سيرتك

يلتقط

الصورَ لحقائبك،

بينما يجهدك

إخفاء

أنك تهرب.

وتوصلك

إلى سلّم الطائرة

أغنيةٌ

غير دقيقة

عن الوطن.

تعثّرْ

برغبة النظر

إلى الوراء،          (تعثّر؟)

حين يكسر ابتعادَك

الآباءُ العاديّون،

أو حين تتقلّبُ فيكَ

أغراضُهُم

التي

في الدواليب.

فكِّرْ          (فكِّرْ؟)

في تجارب أيامهم كلَّ يوم،

من حينَ يقع الشعور

إلى أن يتهشم؛

وأبنائِهِم ـ الصائرين بعد ذاك

كلسَ النوافذ:

(يضحكني، يقول «كلس النوافذ»)

فكِّر فيهم          (فكِّر..؟).

وأنت تضرب أحجاراً صغيرةً

بخطواتك.

وحاوِلْ،                    (يضحكني، يقول «حاول»).

ـ إذ يتهدم ذهابُكَ على الطُرُقِ

ويبكي ـ

أنْ تعلّمَ جوفك

حالةَ الغصن

حين يكون عصرُكَ

ورقتَكَ الأخيرة.

أو حين عمرُك

يتدفّق

في غيرِ مكانه.

لأنّكَ

ـ إذ تهاجرُ في طائرةٍ ـ

لن تُشْفيك الطائرةُ.

(أخي: المريض من يُخفي عتبةَ دارهِ في خزانة الثياب لكي يبقى).

ثم نقصانُنا،

ما تسميه «نقصانُ أملِنا»،

ستجده في غيرنا،

وأنت تتنَزّهُ

في الشارع المزدحم؛

ونحن وأولادُنا،

في الماضي المقابل.

لن تَقْدِرَ أنْ تغطّي بوجهِكَ وجودَك

حين تتجعّدُ وقفتُك،

ويهْدِلُ منكَ الزمن.

(تكلّمني عن الرقّة وأنا ضائع. أرعى أيامي في صحراء منتشرة في أرجاء المنزل. دعني أشرح لك. أنا أهِبُ الرقّة لغيري كواجب يوميّ أخشى نسيانه، وكلّ رقّةٍ تُخطِئ تَقتُل. أريد في عمقي أن أحيا، أن أعيشَ تحت موسى كبيرةٍ هي أنا.. عِلْماً أنّ للشجرةِ تراجعاً واحداً في حياتها هو حين تقع).

لن تقدِرَ على الدوام أنْ تشرح خلاصَكَ لأسرتك،

أو من هم بعدَك؛

لأنّك

وأنت تهرب،

تحرجهم

بينما يبتسمون؛ (يكذب).

توحِشُهُم بنسيانهم

من الغرفة إلى الغرفة،

مكدّساً عودتك إليهم في براميل،

وهم

يبتسمون: (يكذب).

أنِ العالَمُ تودّدُ بعضهم لبعضهم في غيابِك،

أنِ العالَمُ أُسرتُك.

(عندي مغزلٌ صغيرٌ ألفّ به ضحكي وبكائي، أخبرهم أنه حياتي، ويقولون «هو نحن». هامسين إليّ أنني أعماقُهم، وأنَّ الوسادةَّ تحت جَفْنَيَّ: من أحلام كلٍّ منهم. ما أدخل عليهم بزنبيلٍ إلا قالوا: «لنا... لنا». ما يرون أحمل في زنبيلي سواي؟).

فما يجدي أن تؤرخ إرادتَك

بعشائك وحيداً،

معكوساً

في جَفنٍ منسدلٍ عليك؟

ما يجدي تدافعك

تجاه عدم العودة..

والحياة بالأصل مكعَّبة؟

ستجد دائماً أمامك

ما تهرب منه

إلى

ما ستهرب منه.

وبينما تقول لكاتب سيرتك

أنك حرّ (يكذب).

يسقط لفظ الحريّة من فمك

ويتهشّم، (يضحكني).

في حين بناتك

ينشرن الخبز فوق الجرائد،

وأصغرُ بنيك

يعصر ثيابه في الحديقة،

أنِ العالَمُ:

تودّدُ بعضهم لبعضهم في اليأس، (تودّد؟)

أنِ العالَمُ:

أنت.

فإذا شئتَ

فكّر بسؤالِ تحرّرك          قبل أن تفكّر،

وقبل أن تُجيب غيِّرهُ.

إنَّ القيد

يعطي لمعناك معنى.          (يكذب).

ولربما ما يعقّد حياةَ الطائر

كونُه حرّاً.

(لم يرَ الحريّةَ.. ويتحدّث عنها)

(كانت أمنياته متحفَ آثاره، وكانت غابة وقاره تَضيع فيها حتى امرأتُهُ والأولاد... محترماً مدمّريه إلى آخر طقطقةِ عظامٍ في كيانه، مصطحباً مُنْكرِيه إلى المطاعم والمقاهي، مخفياً في حديقة بيته سجلَّ من قتلوه منذ الطفولة ... لذلك يكذب).

(تسعة أعشار وقارِهِ من الخوف).

(لذلك يكذب).

(صدِّقْ يكذبْ).

# في البحر المجاور

هذه السفن

التي

تُقْبِلُ

من الأصول القديمة للثقة

باللا أحد،

منتفضاً

لها

ساحلُ العالم الوحيد

من فراشه،

إذْ

تحمل

عمياناً

وخموراً

في أصنافٍ

جديدة،

هذه السفن

الداخلةُ

في حيث

تخرج التحية

من اليد،

المتفطّرةُ فيها الجدران

الداخليّة

للكلمات،

هذه المبحرةُ

في بقايا حلم غابر

بأنْ تُراقَ الأمكنةُ

يوماً

في بُقعةٍ،

هذه السفنُ

اللا مبسوطة

اللا مقبوضة

المأخوذُ خشبُ صناديقها

من قلوب نساءٍ

مطلّقات،

أو أشجارٍ

مغطّاةٍ دائماً

بعلامات مرور،

هذه المنحنيةُ المستقيمة

التي

لا تصل إليها الفصول

الأربعةُ،

المأخوذةُ ساريتُها

من رقابٍ

تتفتّت

باستمرار،

هذه

المصنوعة

من أخبار

الغرقى،

وتنتظر

بعضاً

من جريانها الأوّل،

حين كانت

أطفالاً،

هذه السفن

المثقّبةُ

بأعماق راكبيها،

المندفعُ

أمامها

ماءٌ

ليس يسيل

وإنما يهرول،

المتقطّع

تحتها

همّ إشاعة الأرض

بين البشر،

المتفائل

فيها

الميّتُ

بحياته،

والحيّ

بحياةٍ مزدوجة،

هذه السفن

منفيّة.

# الشيخ الكرباسيّ

صُغتَ معناكَ..

شارداً

في المعاني

خالقاً في خلالها ما تُعاني

مُغلِقاً

جسَمكَ الصغيرَ

حوالَيْها

مضيءَ النحولِ بالأجفانِ

مُعطيَ الدرسِ دِقّةً

وعَفـــــافاً:

أن يهيمَ الحرمانُ بالحرمانِ

زاهداً في الحياةِ
وهي تُرائيكَ جراحَ الأرواحِ
والأذهانِ

مُجْلِياً روحَكَ الغريبة
عن أرضٍ
براها تزاحُمُ «الديدانِ»

ساهراً في التراثِ
وهو وحيدٌ
وبعيدٌ،
وليس من نُدْمانِ

عابراً عصرَنا إلى لغة العُرْبِ
مغطّى
بعُجمةِ العُربانِ

آكلاً شارباً مع النحو حتى سُئلَ النحوُ:
أنتما إثنانِ؟

* * *

يا أبا صادقٍ، وقد طرتَ حرّاً

وتحفّتْ من دربها القدمانِ

واستراحت نفسٌ

وهُدّئَ قلبٌ

واقفٌ

عند باريءٍ رحمانِ

.. قد تخطّيتَ في العراقِ صنوفاً

من رؤوسٍ

مضت

ومن تيجانِ

وجماهيرَ حيرةٍ

قضت العمرَ

أمامَ الوقوفِ والدورانِ

وضحايا خوفٍ

لخوفٍ شبيهٍ

من كراسٍ

جديدةِ الألوانِ

سرتَ تسعينَ شارعاً

ملأ العمرَ،

وأنقى حصىً عديمُ الأمانِ

ما بلاداً عاشرتَ

لكنْ كهوفاً

يبتنيها الإنسانُ للإنسانِ

تارةً

تصرخ الجماهيرُ عطشى

فتدوّي

ويخرجُ النهرانِ

وتفيض الدماءُ

قتلى وجرحى

يملأون انتفاضةَ الأحزانِ

ثم نهدا،

فثَمّ صمتٌ مُريبٌ

ثم تُنسى دماؤنا

في ثوانِ

وكأنَّ الأوطانَ خِطّةُ تيهٍ

لضياعِ الساعين في الأوطانِ

وكأنّ العراقَ صوتٌ فريدٌ

لارتطام الأشياء باللا مكانِ

* * *

يا أبا صادقٍ..

وألفُ صديقٍ خاننا

في بناتِ ظَنٍّ

حِسانِ

كان مُلْكَ العفافِ والطّهر يوماً،

عائشاً

في خلاصة الإيمانِ

يتمادى خوفاً

على بلد الخوفِ

ويهمي

على دمِ الشجعانِ

ثم جاء الأوانَ يحكم فينا

فإذا للفظاعةِ اسمٌ ثانِ

* * *

وانتبهنا أنّا سُرقنا قلوباً

قطفتها الأيّامُ

قبل الأوانِ

ونُهِبْنا شبابَنا

ذهبيّاً

وبقينا نجرّ باللمعانِ

لم نُرِدْ غير أن نخوضَ ونحيا

وطناً،

ليسَ آلةً للدخانِ

وطناً داخلَ الحياةِ،

صديقاً،

ليس فيه شبرٌ من الفقدانِ

عنه كمّاشتانِ تبتعدانِ وبه المُتعَبان يلتقيانِ

لم نُرِدْ غير حاكمٍ

يقلِبُ النفسَ سؤالاً

يعيشه

ويعاني

ويَرى قبره البعيدَ طعاماً

في يديه،

والمنايا أواني

* * *

يا أبا صادقٍ، وهاكَ دَواليكَ:

بلادَ الأحلامِ والنيرانِ

وبما أنك العليم

بما في الـقول

من جوهرٍ ومن طيلسانِ

وبما أنّك اختبرتَ عميقاً

«أحرُفَ» العُربِ

من بريءٍ لجانِ

لا تقلْ غير صمتِ زهدٍ ألفناهُ

بليغاً

مجرّحَ العنفوانِ

أنت مرآةُ عصرنا،

تعبرُ الأرضَ عفيفاً،

وقطفُ غيرك دانِ

تستردّ القرآن

جسماً وروحاً

حدّ أن قيل: ساكِنُ القرآنِ

نُدْرةٌ أنتَ،

حاضرٌ نتشهّاه على الدهرِ،

عابرٌ للزمانِ

ولكَ اليومَ:

فرطَ ما متَّ حيّاً..

أنتَ تُرثى

ونحن نلقى التهاني

# شَعرك

مَنْ مِنَ الناس مثلي

إذا خرج من بيته

استضاء

بسواد شَعرِكِ؟

من مثلي

إذا أراد أن ينجح

فاض عليه شَعْرُكِ في قاعة الامتحان؟

ومن؟

إذا اختلف عليه الرأيُ قلّبَ شعرَك؟

كلّما عرضتُ معرفتي على سوادِهِ ازددتُ جهلاً

العراق في حرب أهليّةٍ وشَعْرُكِ يتفلسف وحده

القُصّة الحقيقيّة شَعرُكِ

جاري الذي يكلّمني عن الفضيلة شَعرك

أنا شَعرُك

كلّ شيء ذي لون

هو سواد

لشعرك..

## إلى الحسين..

تُجدّدُ

في كلّ يومٍ

حياةً

تبالغُ فيكُنهِها وتَزيدُ

وترجِعُ ضدّاً من الموت،

حيّاً

وضدّك من ذهبوا

لم يعودوا

ترفرفُ روحُكَ للنادمين

على ما أرادوا

وما لم يريدوا

وتعطيهُمُ أملاً في الخلاص

يتمتمه سادةٌ وعبيدُ

وتهدمهم قلقاً

في الضمير

وشكّاً

به كلُّ شيء شريدُ

لأنّك حزتَ الذي لن يُحازَ

وجُدتَ

بما لم يكن فيه جودُ

بجسمك،

حيث الجسومُ سجونٌ

وأهلِكَ

حيث التحرّرُ عيدُ

فشوّهتَ ما عبدتهُ الملوك

وجوهرتَ

ما ضيّعته الحشودُ

ويؤسفنا

كيف ذاك الفداء، وتلك الدماء، وذاك النشيدُ

يُصار

إلى حاكمين جلابيبَ

لولا «تأسلمهم» لم يسودوا

ثُمالى حروبٍ،

وصرعى نساءٍ ومالٍ،

وديدانُ مأدبةٍ،

وقرودُ

يخيطون باسمك أبهى جلودٍ

وجيفُتُهم ما تغطي الجلودُ

على مَنْ يقولون «نحن الحسين»

وكلّ الذي يفعلون «يزيدُ»؟

# آهِ.. صدّام

## [أو «أنتم سادة»[1]]

**[... إلى الغالبية العظمى من**
**سياسيي عراق ما بعد 2003]**

أنتمُ سادةٌ..

ونحنُ رواةُ

جمعتنا، على النقيضِ، الحياةُ

وأرَتْنَا ما يُضحكُ الضدَّ في الضدِّ:

تجاعيدُ ضحكةٍ

مبكياتُ

(1) ـ قرأها الشاعر أوّل مرّة في الجلسة الافتتاحيّة لمهرجان الجواهري ببغداد 2010، ثم نُشرت وقُرِئت في أكثر من صحيفة ومهرجان، داخل العراق وخارجه، وقد قُرئت مقاطع منها في الكويت بمهرجان ربيع الشعر العربي 2012، ووجّهها الشاعر حينها «إلى الغالبية العظمى من الحكام والسياسيّين العرب».

كُلَّما كان نادراً أن تكونوا من جديدٍ:

كانَتْكُمُ النّكباتُ

وإذا لاح أن يعرّيكُمُ الماءُ

المصفَّى

غطَّتْكُمُ الغَصَّاتُ

أنتمُ «حَفْلَةٌ»

يُضيِّعُ فيها وطني نفسَهَ،

وتبكي الجهاتُ

أنتمُ سهرةٌ يَهيمُ بها الناسُ،

وهُمْ في جفونكم غَفَواتُ

هَمُّكُم ضدَّ أن يسيلَ وجودٌ      في بلادٍ أنهارُها عَبَراتُ

وبكم، تحتَ ما نراكمْ، صفات

وبنا، فوق ما ترون، ذواتُ

ثمَّ إنا ـ والأرض ضائعةٌ: هَمّاً من الأهلِ،

والظّنونُ بَناتُ ـ

ليس ندري أفيكُمُ يعكسُ التيهُ عمانا؟ أم حُزنُنا مرآةُ؟

أم تُرى شمسُنا تشعُّ من الشكِّ بأنّا: أعمارُنا تُرَّهاتُ؟

أم تُراها حياتُنا معكم يأساً قديماً، تَخيطُهُ الجدّاتُ؟

أم خُطاكم جذرٌ لما يتهرّى من خطانا، وللخراب نُواةُ؟

هذه فسحةُ الحياةُ،

خذوها،

ولنا ما تضيقُ عنه الدَّواةُ

لكمُ النومُ، حالمين وموتى،

وعلينا أضغاثُكُم والرُّفَاتُ

لكمُ الموطِنُ المحاكُ قميصاً: ألفَ هَرْءٍ،

يَحير فيه العراةُ

سُدْتُمُ في خلالِ عصرٍ، كتابٍ، مَرَضٌ فيه أنّكم كلماتُ

* * *

أنتمُ سادةٌ..

ونحنُ رواةٌ

وسُجونٌ عند الرُّواةِ السُّكاتُ

نحن نروي خرابَنا من قديمٍ أو جديدٍ،

أحزانُنا طبقاتُ

ولنا أو أمثالِنا ضدَّكمْ أو ضدَّ أمثالِكِمْ وحيدون ماتوا

شارحين السّلامَ والحُبَّ

للحَرْبِ وللكُرْهِ:

حين تُمحى اللغاتُ

نحن نروي حروبَكم، وَهْيَ تبنيكم قصوراً، أبوابُها الأرملاتُ

شاهقاتٍ،

تغفو بكم عن سواكم،

وعليكم عُروشُها مطبقاتُ

نحن نرويكُمُ ونرسمُ عصراً

هو أنتمْ،

وأنتمُ الفُرْشاةُ

عاشَ أسلافُكُم خنادقَ فيكم، وبكم من صراعِهم كَدَماتُ

عصرُكُمْ عصرُ طاحنين

تخطّوا في رَحَانا أعمارَنا، واستماتوا

وإلى خوفكم تُصـــبُّ وجـــوهٌ  في قنانٍ،

تلهو بها الرجرجاتُ

عصرُكُمْ آلةُ الحزينين والغرقى دموعاً،

وعصرُكُمْ مَلهاةُ

لا أخٌ،

لا مدينةٌ،

لا غدٌ،

لا وجهُ طفلٍ،

لا كِلْمَةٌ،

لا نَباتُ

نحن نرويكُمُ صباحاً، وظُهراً،

ولنا في الرويّ ليلاً سُراةُ

ضدّكم،

ضدّ أن تكونوا فراتاً،

في بلادٍ يشيخُ فيها الفراتُ

* * *

صنعتْكُمْ آلاتُ شَعْبٍ عجيبٍ

هو حتّى لحزنِهِ آلاتُ

إذ رآكُمْ في نفسِهِ حُلْمَ سِلْمٍ

ملّت الأرضُ حُلْمَهُ، والحُفاةُ

ووصلتمْ كأنَّما اللهُ بُعْدٌ

في خُطَاكُمْ، والأنبياءُ سعاةُ

نازلينَ البلادَ من فوقِ فوقٍ،

بوجوهٍ «سُكَّتْ» بها «الجَّبَهاتُ»

ونفوسٍ مُزَنْجَراتٍ من الكُرْهِ،

و«حَفْلٍ» جمهورُه أزَمَاتُ

وصراعاتٍ مورقاتٍ دماءً،

هي «في جنبِ دِجْلَةٍ جنّاتُ»

ثمَّ داستْ أهْلَ السَّلامِ الصَّلاةُ،

وتعشَّتْ من الحُطَام الزّكاةُ

فإذا نحن في لُفَافاتِ تِيهٍ

قَبَليٍّ، أحقادُهُ منتقاةُ

وإذا أنتمُ سكاكينُ ـ جرحى،

بعضُكم ضدَّ بعضكم ثكناتُ

وإذا نحن عاجزون عن الفَهْمِ..

أهذي أرواحُنا

أم كُراتُ؟

فعرفناكُمُ..

بنادِقَ أهلٍ ضدَّ أهلٍ،

على الجروحِ رماةُ

وعرفنا أن السلامَ اصفرارٌ في يديكم، وفي الجفونِ قَذاةُ

وتعاطي الحياةِ بالقرب منكم: نصفُ موتٍ،

ونصفه سَكَراتُ

حشراتٌ،

وحولكم حشراتُ،

وخبايا أعماقكم حشراتُ

والكلامُ التي تعيشون فيه

حشراتٌ، وصَمْتُكم حشراتُ

وتناسيُّكم وقوفاً جلوساً:

حشراتٌ، وذكركم حشراتُ

* * *

آهِ صدام..

إرثُكَ المرُّ بحرٌ

إن مَشَتْ موجةٌ .. أتتْ موجاتُ

بعض «أعدائكَ القدامى» صديقٌ لمزاياك..

عكسَ ما الكلماتُ

عارضوا لَيْلَكَ الأليمَ،

فلما حكمونا: على ذراعيك باتوا

وعلى نهجك القديم استراحوا

بين نصفين: باصرون/ عُماةُ

ورأونا

ـ نحن الذين بقينا نحفر الليلَ ـ

أننا شُبُهاتُ

ثم قالوا «أنتم بقيتم فأنتم خائنونا»

....

....

أما همُ فـ«ثُقاةُ»

* * *

يا نؤوماً.. مدثّراً.. يا بلادي

دهستكَ الحروبُ والحفلاتُ

راكداً، والشعوب يعصرها العَصْرُ،

وحيداً .... تُحيطك الوقَفاتُ

خرقَتْك الأيامُ للجانبِ المقفرِ من حبّي،

إنّ حبي فَلاةُ

قد تعبنا في الشكّ فيك

فقلنا:

ربما أنت للضياع أداةُ

ربما لستَ غيرَ حبٍّ صراعٍ

تشتهيه مع الحصاةِ الحصاةُ

ربما أنتَ فكرةٌ أوجدَتْهَا

ـ لتسمّي أسماءها ـ

النَّكِراتُ

ربما أنتَ نزهةٌ نتمشاها بحُلْمٍ،

وموقظونا مَوَاتُ

قد وُلِدْنا فيكَ اعتقاداً بأنَّا ـ رَغم ما فيك ـ حالمون بُناةُ

وتشظّى بجيلِنا شغَفُ السِلْمِ، ومادَتْ من تحتِنا الأمنياتُ

إنَّ آلامَنا العريقةَ تُنسى

في بيوتٍ تحنو بها الشُّرُفاتُ

أهلُنا غربةٌ،

وموتٌ مُعَادٌ،

وتشفّي تراجعٍ،

والتفاتُ

الأشقّاءُ حفرةٌ نتّقيها،

والشكوكُ: الخالاتُ والعمّاتُ

قيل «كونوا».. كنا،

فقيل «تمشوا».. فمشينا،

قيل «احتموا... طَلَقاتُ»

فحفرنا خنادقاً وقَتَلْنا وقُتِلْنا

وديستِ الأمّهاتُ

ثم عُدْنا من الحروبِ ثُمالى

وبنا من ضياعِنا سَكَرَاتُ

نتخطّى وجودَنا حيثُ نخطو..

ونعيدُ الخرابَ حيثُ الحياةُ

ووجدنا من مُضْحِكاتِ زوالِ الأرضِ منا

أنْ أهلُنا العَثَرَاتُ

# السيرة الذاتية

**فارس حرّام**

- شاعر وأكاديمي متخصص بالفلسفة وناشط، ولد في العراق العام 1972.
- نال جوائز دولية مختلفة، منها جائزة الشارقة للإبداع العربي في الشعر ـ الإمارات (2005)، وجائزة البابطين للإبداع الشعريّ ـ الكويت (2010)، والجائزة الذهبية لأفضل سيناريو في مهرجان وهران السينمائي الدولي عن الفيلم العراقي «غير صالح للعرض» ـ الجزائر (2007)، وجائزة العين المفتوحة للتصوير الفوتوغرافي ـ برلين (2011).
- رئيس اتحاد الأدباء والكتاب في النجف لدورتين متتاليتين (2010 ـ 2016).
- عمل صحفياً جوّالاً في مجال الأدب والثقافة والفنون، في كلٍّ من تركيا، سوريا، الأردن، مصر، لبنان، للبرنامج الإذاعي «العراق ـ 360 درجة»، الذي كان يبث في العراق وعدد من البلدان المجاورة، لصالح مؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية، (2005)
- عمل في برلين بألمانيا، رئيس تحرير للبرنامج الإذاعي الألماني «Telephone FM»، الذي كان يذاع باللغة العربية في بغداد، لصالح مؤسسة MICT الألمانية، (2004).
- أحد المنسّقين الأساسيّين لتظاهرات العراق التي استمرّت ثلاث سنوات (2015 ـ 2018).

- يعمل حاليّاً أستاذاً في جامعة شنغهاي للدراسات الدولية بالإعارة من جامعة الكوفة العراقية.

**صدر له**

- «**مرةً واحدة**» ـ مجموعة شعرية ـ وزارة الثقافة في دولة الإمارات، (2005)
- «**العراق ـ 360 درجة**» ـ (باللغتين العربية والإنجليزية). كتاب رحلات ولقاءات ثقافية في الدول المحيطة بالعراق ـ بالاشتراك مع الكاتب العراقي «عبد المحسن صالح» ـ عن مؤسسة MICT ومؤسسة فريدريش إيبرت الألمانيتين في برلين، (2007).

# الفهرس

# أن تَقلِبَ الفكرة

تجربة فارس حرّام صعبة، تنطبق عليها مقولة "الشعر الحداثيّ الحقيقيّ"، هو دائماً يحيل المجرّد اللامرئي إلى محسوس ومجسد بفعل دراماتيكي يعتمد على السرد والحوار مع الآخر والتلاعب بالكلمات. وبالرغم من صعوبة قراءة هذه التجربة، إلا أنّه يمكن تحويل كثير من قصائده إلى سيناريوهات سينمائية أو مسرحية. هو شاعر مخاتل.

فاضل ثامر

تجربة مدهشة ومباغتة بكل المقاييس، تلمس الشعر في منطقة الصورة الطازجة والأسئلة العميقة.

شوقي بزيع

بعد صدور ديوانه الأول "مرّة واحدة" (2005) كتبتُ مقالاً عن حيرتي بفارس حرّام. ديوانه الجديد هذا "أن تقلب الفكرة" لم ينقذني من الحيرة بل رسّخها في عميقاً، ذلك أن اختيار الشاعر شكلاً شعرياً محدداً مؤثر على نحوٍ حاسمٍ في الكشف عن مشروعه الشعري بأكمله، في حين أجد نفسي إزاء شاعرٍ أحبه يقدر أن يريق شعره في أوعية شتّى. يصنع مفارقته حين يرسل قوله عميقاً مدهشاً بكثير من اللعب الذكي المدروس في إهاب معتق. قيل في الإنجيل: لا تضع الخمر الجديد في زق قديم. ضدّ هذه الوصية بالذات يعمل فارس حرام وينتج لنا شعراً مترعاً بالدهشة والحيرة.

أحمد عبد الحسين

ثلاث سمات أساسيّة يتحرّك فيها شعر فارس حرّام: المضمون الفلسفيّ، القاموس اليومي/الحياتي، ثمّ قوّة النظم بإزاء تلقائيّة التداعي الشعري، والأخيرة كانت تمثل جزءاً رئيساً من المزاج الشعري السائد وقت ظهور فارس حرام، ومجايليه التسعينيين في القصيدة العراقيّة الحديثة. ففي شعر حرام انضباط وسيطرة وقدرة على تطويع البلاغة لتعطي أداءً شعرياً.

أحمدسعداوي

الشاعر الفذّ. شهقةٌ حارّة دخلت إلى رئة الشعر العراقي لتخرج، بعد حين، بهيئة قصائد محلقة، قصائد تتلاعب بنا وتسحرنا. لا يتعلق الأمر بالنصوص المبنية ببراعة مبهرة حسب، ولا بالأفكار العميقة التي لا تنفد ممكناتها، وإنما يتعلق الأمر أيضاً بالشخص نفسه، فنحن أمام شاعر يتوحد شعره به، بصوته ولكنته، بنظرته للعالم، بمحبته للناس وبامتزاجه بنبض عصره. يوماً ما سوف يقال: في هذا العصر كتب الشاعر فارس حرّام تحفته الشعرية "أن تقلب الفكرة".

محمد غازي الأخرس

فارس شاعر فذ بامتياز. في كل مرة اقرأ له نصاً جديداً أجده أكثر توهّجاً وهو يزيد يقيني بتفرّده عن شعرٍ كثير وشعراءَ لا حصر لهم في الشعرية العراقية والعربية على حد سواء.

ماجد موجد

يكتب فارس شعراً خالياً تماماً من العبثيْن اللغوي والشكلي اللذيْن ميّزا قصيدة النثر العربية في جلّ نماذجها. كما يقدم تجربته الخاصة في الشعر الموزون. ترفد ذلك ثقافة تراثية ممتازة، واطلاع وافر على المنجز الفلسفيّ الحديث. هذا الشعر ينقل بروحه السوداوي الهازل، مصابنا بأنفسنا، ونحن نتجمع حول نيران هذا الشاعر، لنستمع منه إلى حكاية أرواحنا.

معتز رشدي





ISBN 978-9-9226075-5-9

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain_L
dar.alrafidain
dar alrafidain دار الرافدين